جامعة يحيى فارس المدية
مخبر اللغة وفن التواصل (م. ل. ف. ت)

Université Yahia FÈRES Médéa
Laboratoire de langue et art de la communication (L.L.A.C)

مجلة التواصلية

رقم الايداع القانوني: ر د م د 2437-0894

رقم الايداع بالمكتبة الوطنية: 2015-5845

ر ت م د إ: 537X-6202

مالك بن نبي والرؤية الجديدة في تفسير القرآن الكريم

Malik Bin Nabi's new vision in the explanation of Quran

د(ة). سعـاد ميرود

جامعة يحيى فارس المدية- الجزائر

araihane01@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020-02-20	2020-03-23	2020-03-25

المرجع: سعـاد ميرود ، « مالك بن نبي والرؤية الجديدة في تفسير القرآن الكريم »،التواصلية، المجلد: 06، العدد: خاص 2020، ص ص: 179 -196.

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/294

مالك بن نبي والرؤية الجديدة في تفسير القرآن الكريم

Malik Bin Nabi's new vision in the explanation of Quran

د(ة). سعـاد مـيرود

جامعة يحيى فارس المدية– الجزائر

ملخص:

نهدف من خلال هذا المقال إلى إبراز دور المفكر الجزائري مالك بن نبي في إثراء الدراسات القرآنية من خلال اقتراحه لتجديد منهج تفسير القرآن في كتابه" الظاهرة القرآنية". وذلك أن الزمن تغير ولم يعد للعرب ذوق لغوي يمكنهم من استشعار الإعجاز القرآني في جانبه اللغوي والبياني، خاصة مع انتشار الجهل في المجتمعات المسلمة و سقوطهم تحت وطأة الاستعمار الأوروبي، وانتشار الثقافة الغربية عند الفئة المتعلمة في المدارس الأجنبية، إضافة إلى دراسات المستشرقين التي أثرت في عقوله المسلمين، لذلك أصبح من الضروري تدريس القرآن الكريم وتفسيره بطريقة عقلانية تواجه العصر وتحدياته.

الكلمات المفتاحية: مالك بن نبي، "الظاهرة القرآنية"، تفسير القرآن، التفسير النفسي والموضوعي، قضية الوحي، النبوة.

Abstract :

Malik Bennabi is considered one of the most remarkable intellectuals in modern Islamic and Algerian History. He dedicated his entire life studying the causes of the decline of The Islamic civilization, the thing which led him to write his books through which he wanted to correct the Muslims' thought and criticize the way they receive Islam and understand Quran.

In his book "The Quranic phenomenon", Bennabi aimed to have conscious meditation to Islam, and proposed to review the old methods of explaining Quran, because in his opinion time changed, and the Muslims witnessed a scientific delay ; as a result, they needed new methods of explaining Quran based on thought.

Key words : Malik Bennabi, "The Quranic phenomenon", explanation of Quran, psycho interpretation of Quran, revelation, prophecy.

مقدمة:

يعد مالك بن نبي واحدا من أبرز المفكرين في تاريخ العالم الإسلامي والجزائر بشكل خاص. فقد تطرق لمواضيع سبقت عصره إذا ما نظرنا للظروف التي عاشها العالم الإسلامي آنذاك- ونقصد فترة الاستعمار الأوروبي- وتجربته المريرة مع سياسته المدمرة الرامية إلى تجهيل الشعوب المستعمرة. لكن مالك بن نبي ومع صعوبة الأوضاع استطاع اكتساب قاعدة تعليمية وثقافة مزدوجة من خلال الكُتّاب والمدرسة الفرنسية، هذا إضافة إلى دراسته في باريس، مما مكنه تكوين رؤية عن العالمين: المتقدم (أوروبا) والعالم المستعمَر المتمثل في إفريقيا.

كرس مالك بن نبي حياته لدراسة مواضيع تتعلق بالإسلام و المجتمع المسلم بشكل عام، كمشكلة الحضارة التي يعتبرها مشكلة الشعوب العربية " فهو يرى أنه لحل مشاكل الشعوب يجب التركيز على الحضارة"[1]، فأي مشكل يتطور تاريخيا يؤدي إلى ركود وتراجع في الثقافة. كما درس بن نبي قضية تلقي القرآن الكريم وضرورة تصحيحها من أجل الفهم الجيد لكلام الله تعالى، واقترح منهجا لتفسير القرآن الكريم مختلفا عن منهج القدماء يفهمه المسلم وغير المسلم لا يتعلق باللغة ولكن بالرؤية النفسية و الموضوعية للقرآن الكريم ، فهل يمكن أن ينجح منهج كهذا

[1] Fawzia Bariun, Malik Bennabi: His Life and Theory of Civilization, Kuala Lumpur: Muslim Youth Movement of Malaysia, p 166.

في تفسير القرآن وبيان إعجازه؟ وهل باستطاعته أن يكون المنهج البديل في عصر ندر فيه الذوق اللغوي عند العرب؟

نهدف من خلال هذه المقال توضيح مقترح بن نبي في تفسير القرآن الكريم؛ فحين نزل الوحي كان العرب أهل فصاحة مما مكنهم إدراك معجزة القرآن ، وأما في أواخر العصر الأموي والعصر العباسي–حيث انتشرت العلوم– أصبح الإعجاز القرآني في جانبه العلمي، وأما وحين أصبح العرب تحت وطأة الاستعمار المسيحي وسياسيته التجهيلية، لم تعد اللغة وحدها تمكن من إدراك الإعجاز إلا عند أهل اللغة أو المتخصصين، وهنا تكمن أهمية الموضوع، فهو يتناول موضوعا لطالما وُضع جانبا بسبب النظرة التوقيفية لقضية تفسير القرآن الكريم وعدة دراسات لغوية يرى الكثيرون أنها أخذت حقها من الدراسة ويستحسن عدم إعادة النظر فيها. ومن أجل مناقشة مقترح بن نبي في تفسير القرآن و الإعجاز القرآني سنتّبع المنهج الوصفي لعرض فكرة كتابه "الظاهرة القرآنية" ومنهجه الذي يراه بديلا عن منهج التفسير القديم، والمنهج التحليلي لمناقشة مقترحه. من أجل هذا تناولنا في مقالنا هذا ثلاثة مباحث رئيسية. تطرقنا في المبحث الأول إلى العوامل التي أثرت في فكره وكونت ثقافته، أما المبحث الثاني فقد عرضنا فيه محتوى كتابه "الظاهرة القرآنية" حيث اقترح منهج التفسير النفسي الموضوعي، وفي المبحث الثالث شرحنا هذا المنهج ودواعي التغيير عند مالك بن نبي بعدها قدمنا مثالا عن هذا المنهج في التفسير عند الشعراوي، وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصلنا إليها.

1. فكر مالك بن نبي

ولد **مالك بن نبي** سنة 1905 في مدينة قسنطينة وهو ينتـمي إلى عائلـة محافظة، كان والده متعلما ومعاديا للاستعمار الفرنسي، ولم يكن طرقيا، ولم يرغب في الانتماء إلى الطريقة الصوفية بالرغم من وجود الزاوية القادرية بجوار سكنهم في تبسة[1]. ويعتبِر **مالك بن نبي** ولادته في تلك الفترة بالذات فرصة ليكون شاهدا للقرن، فيقول: " كان مولدي بالجزائر سنة 1905، أي في زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حيا من شهوده، والإطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده. هكذا إذن فقد استنفذت بامتياز لا غنى عنه لشاهد حينما ولدت في تلك الفترة"[2]؛ فالماضي تمثل في جَدته التي عمرت حتى جاوزت المائة، ومع أن **بن نبي** لم يعايشـــها طويلا إلا أنه استطاع الاطلاع على حكـاياتها وما شـاهدتـــه وذكرياتها القديمة التي كانت تسردها على أفراد العائلة خاصة والدته وهي ابنتها التي أخذت الدور في سرد تلك الحكايات خاصة ما تعلق بدخول المستعمر الفرنسي إلى الجزائر وممارساته غير الأخلاقية مع الجزائريين. وكان الحاضر بالنسبة **لمالك بن نبي** متمثلا في والديه، فوالده كان يمثل نموذجا عن جيله آنذاك المهتم بقضايا الوطن، ولكن لم يكن يملك بعد روح الكفاح

[1] ينظر عبد الله بن حمد العويسي, مالك بن نبي، حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2012، ص53-54.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، القسم 1و 2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط2، 1984، ص 15.

ومواجهة الاستعمار وجها لوجه. أما والدته فكانت ككل ربات البيوت الجزائريات تدبر المنزل وتهتم بكل شؤونه، وكانت تساعد زوجها في صنع القرارات الخاصة بمصير العائلة، وكانت من متّبعي المذهب الإصلاحي مع زوجها.[1]

فإذا جئنا إلى تكوينه الفكري، وجدنا أنه ليس وليد يوم أو ليلة، ولكن يتكون فكر الإنسان عبر مراحل و فترات زمنية في حياته يتلقى من خلالها مختلف المعارف والأفكار وحتى الإيديولوجيات إلى أن يصل إلى مرحلة النضج، ومن ثم العطاء. ويدعم صناعة الفكر وجود استعداد فطري وإمكانيات تسهل له سبل الاكتساب والتعلم، وقد كان **مالك بن نبي** يملك استعدادات أهلته لاكتســـاب العلم وتطوير ذاته، مما أدى إلى طبع إنتاجه الفكري، ومن أبرز تلك الصفات حب القراءة الذي جعله يطالع جميع ما يقع تحت يده من مادة فكرية، وحب المناقشة وممارستها، وتأمل الواقع من أجل محاولة إيجاد حل لمشكلاته، إضافة إلى الصبر والمثابرة و الطموح العلمي.

تأثر **مالك بن نبي** بالمبادئ التي ورثها عن عائلته المسلمة المحافظة، إضافة إلى الوعي الذي كان موجودا عند والديه (انتمائهما إلى الاتجاه الإصلاحي)، وحكايات جدته التي تعلّم منها الكثير عن مبادئ الإسلام وعن وحشية الاستعمار وظلمه، بل كانت البذرة الأولى لموقفه من الاستعمار طيلة حياته.

[1] ينظر عبد الله بن حمد العويسي, مالك بن نبي حياته وفكره، نفسه، ص 56.

أما خارج الأسرة فقد أثر في **مالك بن نبي** مرحلة تعليمه الثانوية حيث كان ينتمي إلى مجموعة المدرسين المقبلين، وهم فئة تتميز بعاطفة دينية وشعور برسالة وطنية.[1]

كما كان **مالك** منتظما في حلقة المكتب القرآني في تبسة أين درس أربع سنوات. وكان المعلمون الفرنسيون يكسبون فكره ثقافة ديكارتية أعانته على الابتعاد عن البدع والخرافات التي كانت سائدة آنذاك في الجزائر، ودفعته إلى إعمال العقل واتباع المنهج العلمي.

أما الاتجاه الإصلاحي الذي قاده عبد الحميد بن باديس في قسنطينة– ومجلته 'الشهاب'– فقد كان له بالغ الأثر في تعزيز الأفكار التي تكونت لديه في صغره حول الاستعمار وحب الوطن والدين.

نضيف إلى ذلك تحصيله العلمي الذي أحدث لديه تغييرا عميقا في النظر والتفكير، فقد حرك فيه حب العلوم، حيث يخضع كل شيء إلى مقياس الكم والكيف والضبط والملاحظة. إضافة إلى ذلك فقد أتاحت الدراسة في فرنسا **لمالك** الاطلاع على الحضارة الغربية، فقد أيقظت في داخله الرغبة للنهوض بمجتمعه الذي يعاني من الجهل و التخلف.[2]

[1] عبد الله بن حمد العويسي, مالك بن نبي، حياته وفكره، سابق، ص 145–146

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، سابق، ص 205.

2. محتوى كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي

صدر الكتاب سنة 1987 ضمن سلسلة كتب **مالك بن نبي** المعنونة بمشكلات الحضارة، وقد ترجمه عبد الصبور شاهين من الفرنسية إلى العربية، وقدم له العالمان محمد عبد الله دراز ومحمود محمد شاكر، وكانت النسخة الفرنسية قد صدرت سنة 1947.

ذكر صاحب "الظاهرة القرآنية" في المدخل أن هذا الكتاب لم يظهر في صورته الكاملة، لأنه كان قد أعاد تأليف أصوله التي أحرقت في ظروف خاصة، وكان من الصعب إعادة تأليفه نظرا لعدم إمكانية الحصول على المراجع المهمة في تأليفه، فاستعان بما تبقى من الأصل من عناصر مكتوبة في قصاصات، إضافة إلى ما بقي في ذاكرته من جوهر الموضوع.

يتضمن الكتاب ستة محاور تصدرتها مقدمتان، الأولى مترجمة عن المقدمة الأصلية المكتوبة بالفرنسية للعالم الأزهري محمد عبد الله دراز، وتتمثل أهميتها في الإيضاحات التاريخية المتعلقة بفكرة الكتاب، وفي الدعوة إلى تطوير وسائل التفكير بتطور وسائل العلم، وأما المقدمة الثانية فقدمها محمود محمد شاكر وظهرت بالغة الأهمية لاحتوائها بعض التعليقات والتصويبات لما جاء به **مالك بن نبي** في متن الكتاب حول قضية تفسير القرآن الكريم وقضية علاقة الشعر الجاهلي بإعجاز القرآن الكريم.

وقد اعتمد **مالك بن نبي** منهجا تحليليا في دراسة الظاهرة القرآنية التي تضم قضية الوحي ونزوله على محمد صلى الله عليه وسلم وخصائصه وقضية النبوة. وكان يرمي من خلال ذلك إتاحة الفرصة للشباب المسلم للتأمل الناضج في الدين، واقتراح إصلاح مناسب للمنهج القديم في تفسير القرآن الكريم. وقد كان اقتراحه لتغيير منهج جديد لتفسير القرآن لأسباب تاريخية ومنهجية.

أما الأسباب التاريخية فترجع إلى التطور الثقافي في العالم الإسلامي الذي تلقى أفكاره عن الثقافة الغربية من خلال ما كتبه المستشرقون من أفكار خطيرة مست الجانب الديني والعقائدي للشباب المسلم، وأوغلت في الحياة الدينية في البلاد الإسلامية، وأصبح الشباب خاصة الجامعيون يتجهون إلى المصادر الغربية لإعداد بحوثهم حتى فيما يخص معارفهم الإسلامية.

أما عن الأسباب العائدة إلى المنهج، فتعود لكون اللــغة قديما مدعاة للفخر عند العــرب وعنــوانا لهم ولهويتهم، وقد نزل القرآن بلغتهم وأعجزهم بها، واستطاع أن ينفذ إلى الأرواح من هذا السبيل لما لهم من ذوق بياني رفيع، ثم تغيرت الظروف وسادت العلوم المختلفة في أواخر العهد الأموي وفي العهد العباسي، فأصبح إدراك الإعجاز القرآني عن طريق التذوق العلمي أكثر من التذوق الفطري. وتأخر بعدها العرب مع تقدم العصور وتراجعوا علميا حتى أصبحوا غير قادرين على إدراك الإعجاز من الناحية العلمية خاصة أولئك الذين تثقفوا بثقافة أجنبية، فكان لابد من إيجاد مدخل جديد يدرك الناس من خلاله إعجاز القرآن.

وقد تعلق الكتاب بالتفسير والسيرة وقضية الإعجاز القرآني ومقارنته مع الشعر الجاهلي الذي يمثل منتهى البيان عند العرب، كما اقترح طريقة أخرى لإثبات الوحي والنبوة ولكن بطريقة عقلانية خارجة عن البراهين المقدمة في القرآن الكريم أو السنة النبوية، ليكون قد تناول قضية تتعلق في الحقيقة بالعقيدة.

يتحدث بعدها الكاتب عن القرآن كظاهرة ويوضح كل من المذهب المادي والغيبي في تفسيرها، ليتجه بعدها لدراسة الحركة النبوية ويعقد موازنة علمية بين النبوة وادعائها، متخذا من النبي أرمياء نموذجا لعرض الأفكار العامة عن النبوة ونفسية النبي التي تمثل عنده حجة دالة على صدق النبوة.

تناول بعدها مصادر أصول الإسلام التي تتمثل في النبي صلى الله عليه وسلم، حيث درس فترة ما قبل البعثة وصولا إلى مراحل نزول الوحي المكي والمدني، ويبحث في موضوعات تتعلق بالقرآن الكريم كخصائصه الظاهرية مثل التنجيم والوحدة الكمية و كذلك مواضيع تتعلق بمضمون الرسالة.

3. قضية تفسير القرآن الكريم وإعجازه

يرى **مالك بن نبي** أن معجزة القرآن الكريم أبدية، غير أن إعجازه يختلف من عصر إلى آخر، فلم تعد اللغة اليوم أو البيان هو إعجاز القرآن كما كان مع أهل الجاهلية الذين كانوا أهل الشعر الذي يسحر العقول ويأسر القلوب ببيانه وبلاغته وجمال لغته.

أما اليوم وقد وقع العرب في يد الثقافة الغربية، فيدعو مالك **بن نبي** إلى تحرير عقول الشباب المسلم المثقف من هيمنة المستشرقين الذين يشكلون خطورة على الدين والسياسة، وهذا بإصلاح منهج التفسير القديم مع ما يتناسب وظروف العصر، والتركيز على بعض النقاط التي يستغلها المستشرقون وتلامذتهم المسلمون لتخريب عقيدة المسلمين. والأمر خطير، فالشباب المثقف أصبح يتلقى تعليمه وأفكاره عن أساتذة غربيين يجعلهم يحاربون دينهم بتلك الأفـكار دون شـعور منهم.[1] وقد استعمل الاستعمار هذا السلاح في مختلف الأقطار الإسلامية، حيث جعل الفئة المثقفة تشكك في الدين وتحارب مجتمعاتها التي تمثل لهم الجهل وعدم القدرة على النهوض بنفسها ، وأن المستعمر جاء لينشر الحضارة، مع أن المفروض أن هذا الشباب المثقف هومن يعمل على توعية المجتمع.

ولعل أهم مثال لعمل المستشرقين الهدام هو قضية التشكيك في أصالة الشعر الجاهلي لصاحبها المستشرق الإنجليزي مرجليوث سنة1925. هذه الفرضية التي قدمها مرجليوث تتهم الشعراء الجاهليين بانتحال الشعر والسرقة وإرجاع بعض القصائد لزمن غير الجاهلية، ولم تكن فرضية مرجليوث لتحتوي على شيء هام لو أنها لم تصادف الترحيب من قبل بعض المسلمين، أهمهم طه حسين الذي كتب فيها كتابه "في الشعر الجاهلي" و أظهر تبعية بعض العرب المسلمين للمستشرقين وأفكارهم.

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، تر: عبد الصبور شاهين، 2000، ص 54.

فإلى حد الآن قام الإعجاز القرآني على البرهان الظاهر على سمو كلام الله تعالى فوق كلام البشر، وأما استعمال الدراسة الأسلوبية في التفسير فكانت لغرض إيجاد أساس عقلي لإعجاز القرآن، غير أنه لو تم تطبيق نتائج فرضية مرجليوث، لانهار ذلك الأساس.[1]

إن خطورة الأمر حسب **مالك بن نبي** لا تتعلق فقط بالتاريخ والأدب والشعر، بل تتعداها إلى نكران المصدر الذي يعتمد عليه أهل التفسير في إظهار إعجاز القرآن الكريم. وإذا كان المنهج القديم المعتمد على اللغة والبيان هو الدليل القاطع على المصدر الغيبي للقرآن، فإنه يبدو ذاتيا فاقدا للموضوعية إذا تواجه مع العقل ذي الصبغة الديكارتية.

من أجل ذلك يقترح **مالك بن نبي** تناول إعجاز الآيات من جهة تركيبها النفسي والموضوعي أي تحليلا باطنيا يتناول المضمون أكثر من تناوله العبارة، وهذا المنهج يصلح للمسلم و لغير المسلم الذي يتناول القرآن بوصفه موضوع دراسة.[2]

فالنبوة مثلا ظاهرة تبين من خلال شهادة النبي ومن خلال محتويات الرسالة، بالإضافة إلى كون الظاهرة متكررة تاريخيا منذ إبراهيم عليه السلام إلى

[1] ينظر مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، سابق، ص 57.
[2] نفسه، ص 68.

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واستمرار ظاهرة متكررة بنفس الكيفية يعتبر شاهدا علميا يثبت وجودها شريطة توافقها مع العقل والمبدأ.

ويقترح **مالك بن نبي** طريقة أخرى لإثبات الظاهرة وهو دراسة الحالة الداخلية أي النفسية للنبي؛ فحدث النبوة يعد سببا للاضطراب في ذات الإنسان ويدفعها دفعا لا يقاوم نحو رسالة ما.[1]

وقدم النبيَّ أرمياء نموذجا ليعرض الأفكار العامة عن النبوة وعن نفسية النبي، الذي عانى نفسيا من رفض قومه لرسالته والاستهزاء بما يدعو إليه. ويجعل **مالك بن نبي** من خصائص النبوة صفة القهر النفسي وإلزام النبي سلوكا معينا ودائما، واستمرار مظاهر سلوك النبوة وتماثلها الظاهر والخفي عند الأنبياء، فالنبي لا يملك شخصيتين بل هو سلوك شخصية واحدة تحملها ذات النبي، ويفرق بينه وبين مدعي النبوة فالأول يربط مهمته بالأفكار العامة للنبوة في زمن يتناسب مع عرض هذا المبدأ في حين يكتفي مدعي النبوة بمبدأ شخصي ومعارضة النبي الموجود.

4. مثال عن تطبيق المنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم

إذا نظرنا إلى التفسير الحديث نجد أن هناك من عمل بالمنهج النفسي الموضوعي في تفسير بعض آيات القرآن الكريم ، دون اللجوء إلى التفسير اللغوي

[1] نفسه، ص 92.

والنحوي، ونأخذ على سبيل المثال الشعراوي في تفسيره للآية الكريمة الآتية:" أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64)" الواقعة/ 63-64 ، فعند ابن كثير نجد الآية تفسر كما يلي: " الحرث هو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها، و" أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ" أأنتم تنبتونه في الأرض،" أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ" أي بل نحن الذين نقره قراره وننبته في الأرض، قال بن جرير: وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي، حدثنا مخلد بن الحسين، عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقولن: زرعت، ولكن قل: حرثت، قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله: :" أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63)أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64)"[1].

وأما بن عاشور، فيفسر الآية على أنها دليل آخر على إمكان البعث وصلاحية قدرة الله تعالى بضرب آخر من ضروب الإنبات بعد العدم. والحرث شق الأرض ليزرع فيها أو يغرس، وظاهر قوله: "ما تحرثون" أنه الأرض، إلا أن هذا لا يلائم ضمير تزرعونه فتعين تأويل ما تحرثون له وهو النبات، وقد دل على هذا ضمير النصب في "أأنتم تزرعونه" لأنه استفهام في معنى النفي والذي يبقى هوما نبت من الحب لا بذره، فنفى عنهم الزرع ونسبه إلى نفسه[2].

[1] إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2014، ج4، ص 2038.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 19894، ج 27، ص320.

أما الشعراوي فيقول في " أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64)":

" صحيح أن الإنسان يقوم بحرث الأرض و رمي البذرة و ربما تعهد الزرع بالعناية والري ولكن ليس في كل ما يفعله مهمة الخلق، بل إن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، ولو كنت تزرع بقدرتك فأت ببذرة غير خلق الله، وأرض لم يخلقها الله، وماء لم ينزله الله من السماء، وطبعا لن تستطيع"[1].

فالشعراوي هنا لم يكتف بالتفسير اللغوي كما فعل القدامى، بل أضاف البرهان على قدرة الله تعالى بطريقة عقلية منطقية وموضوعية تقنع أي قارئ لهذا التفسير.

خاتمة:

لقد كان منطلق تأليف كتاب "الظاهرة القرآنية" عند **مالك بن نبي** مشكلة تأثر الشباب المسلم بالمستشرقين، الذي أعان المستشرقين على محاربة الإسلام والتشكيك في أمور كثيرة دون أن يدرك ذلك. وهذا العقل الذي يفكر به شباب المسلمين يريد أن يدرك ما يرضيه من هذا الدين وما يطمئن إليه من دلائل إعجاز القرآن الكريم بناء على ما اكتسبه من تعليم و ثقافة، الشيء الذي دفع **بمالك بن نبي** إلى التفكير في وضع منهج جديد للبرهنة على إعجاز القرآن يخالف ذلك

[1] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، دار الثقافة، 1991، مج 24، ص14873.

الذي اتبــع في الماضي. وقد اقترح رؤية موضوعية و نفسية للظاهرة القرآنية، غير أن الكاتب خلط قضية التفسير بقضية الإعجاز، هذا الأخير الذي قام على أساس جمال اللغة، وأنما أنزلت الآيات مثل "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" يونس/ 38 وقوله تعالى:" قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" الإسراء/ 88 لتبيين إعجاز القرآن بلفظ ونظمه و بيانه، أما الدراسة الموضوعية التي اقترحها **بن نبي** فليست متاحة لأي أحد لكون التزام الموضوعية والحياد في قضية الدين أمر صعب و غير مقدور عليه في معظم الأحيان.

كما أن قضية الإعجاز تتطلب مفسرا أو دارسا ملما بالعلوم الشرعية والعلوم المادية وعلوم اللغة المختلفة، وتبقى اللغة هي المعجزة، فهي الوسيلة التي تكشف الإعجاز العلمي والنفسي والتاريخي في آيات القرآن الكريم.

إن كاتب "الظاهرة القرآنية" كان يريد اقتراح منهج جديد لتبيين إعجاز القرآن يتماشى والعصر ويواجه بها المفسر كل من المسلم وغير المسلم، فإذا به يقوم بالبرهنة العقلية على صحة الوحي ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي جعله متعلقا بشكل مباشر بالعقيدة الصحيحة القائمــة على اقتـناع عقلي وقبول نفسي، ليضاف إلى الأعمال التي جاءت لخدمة عقيدة التوحيد والقرآن والنبوة. نضيف إلى ذلك ملامسته جوانب مهمة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة إلى البعثة وفترة تبليغه الرسالة.

ولئن كان باب الاجتهاد في الإسلام مفتوحا لأهله، فإن مالك بن نبي قام بالاجتهاد في فترة انطفأ فيها نور العلم والمعرفة في كافة المجالات وأنتشر فيها العلم الغربي إلى جانب الخرافات والجهل، باحثا عن حجج يواجه بها سلاح الغرب الجديد وهو الاستشراق. وقد اعترف مالك بن نبي أن هذا المشروع لا يزال عنده بعيد المنال نظرا لقصور جهازه الفني –على حد تعبيره، ولغياب الوثائق اللازمة لتنفيذ هذه الدراسة.[1]

والكتاب يخاطب في ثناياه الملحدين، فهو لا يقدم العقيدة الإسلامية كمسلّمات يؤمن بها القلب دون إعمال للعقل، بل كحقائق يقتنع بها العقل ويطمئن إليها القلب.

ولعلنا تناولنا هنا في هذا المقال جانبا فقط من أعمال مالك بن نبي وبقي الكثير من مؤلفاته تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها والاستفادة مما فيها من دراسات ومقترحات.

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، سابق، ص 68.

المراجع:

- ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2014، ج4، ص 2038.

- بن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 19894، ج 27، ص320

- بن نبي مالك:

- الظاهرة القرآنية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، تر: عبد الصبور شاهين،2000.

- مذكرات شاهد للقرن، القسم 1و 2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط2، 1984.

- الشعراوي محمد متولي ، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، دار الثقافة،1991، مج24، ص14873.

- العويسي عبد الله بن حمد, حياته و فكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2012.

-Fawzia Bariun, Malik Bennabi: His Life and Theory of Civilization, Kuala Lumpur: Muslim Youth Movement of Malaysia.